شَرْحُ العَقِيدَةِ الطَّحَاوِيَّةِ

الدرس الثالث

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين؛ أما بعد ...

اليوم معنا الدرس الثالث من دروس شرح العقيدة الطحاوية، وكنا قد تحدثنا في الدرس الماضي عن قول المؤلف: **(نَقُولُ فِي تَوْحِيدِ اللَّهِ مُعْتَقِدِينَ بِتَوْفِيقِ اللَّهِ إن الله واحد لا شريك له)**، وعلمنا مما مضى أن هذه الكلمة هي كلمة التوحيد، وأن أول دعوة الأنبياء كانت إلى توحيد الألوهية؛ فقد قال الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ} [النحل:٣٦]، وقال: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ}[الأنبياء:٢٥]، وقال غير واحد من الأنبياء كما في كتاب الله تبارك وتعالى لأقوامهم: {يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ}[الأعراف:٦٥]، هذه هي أصل دعوة الأنبياء وهي أيضاً دعوة نبينا عليه الصلاة والسلام، فإنه لمّا جاء إلى كفار قريش؛ كان يقول لهم :"يا قوم قولوا لا إله إلا الله تفلحوا"، فهذه هي دعوة الأنبياء؛ وهي أول ما كانوا يدعون إليه؛ وهي أصل دعوتهم.

أما توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات؛ فهو داخل ضمناً في هذا النوع من التوحيد؛ وهو توحيد الألوهية؛ لذلك كانت عقيدة أهل السنة والجماعة أنهم يعتقدون أن الله واحد لا شريك له في عبادته؛ فلا يُعبد معه غيره، ويعتنون اعتناءً كبيراً جداً بهذا النوع من التوحيد؛ اتباعاً لسُنَّة الأنبياء الذين بعثهم الله تبارك وتعالى بهذه الدعوة.

أمّا الدعوة إلى توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات؛ فهذه أيضاً دعوة أهل السنة والجماعة، ولكن لمّا كان الخَلل الأكبر والشرك الأعظم عند الناس في الأرض في توحيد الألوهية؛ أرسل الله تبارك وتعالى أنبياءه بهذه الدعوة، وأوصى النبي ﷺ الصحابة والمسلمين من بعده أن يدعوا إليها وأن يَحرصوا عليها؛ كما قال النبي ﷺ لمعاذ بن جبل لمّا أرسله إلى اليمن: "فَلْيَكُنْ أَوَّلُ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ تَوْحِيدَ اللَّهِ"، وفي رواية " أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ"؛ فهذه الدعوة هي دعوة الأنبياء، وهي أول دعوة أُمرنا بأن ندعو الناس إليها، وهي أعظم دعوة يجب على كل داعٍ إلى الله أن يعتني بها.

خالف المتكلمون والصوفية أهل السنة في هذا؛ فجعلوا تفسير كلمة التوحيد هي أنه لا خالق إلا الله، وغَلَوا في توحيد الربوبية بحيث صاروا يُقررون فيه ما ليس منه، وغَلوا في هذا الجانب حتى قرروا أنواعًا من الكفر كما تقدم معنا، ووقعوا في نفي ما أثبت الله لنفسه من الأسماء والصفات- هذا بالنسبة للمتكلمين-، وأما الصوفية فغَلوا في هذا الباب حتى وقعوا في عقيدة الحلول والاتحاد كما تقدم؛ فهؤلاء وقعوا في نوع من الكفر وهؤلاء وقعوا في نوع من الكفر بسبب الغلو فيما يعتبرونه هم من توحيد الربوبية، وليس هو من توحيد الربوبية حقيقة، لكن على كل حال كان اهتمامهم بهذا الجانب.

أما في توحيد الألوهية فلا يهتمون به ولا يبالون به، فأما الصوفية؛ فيعتبرونه من إيمان العامة ومن توحيد العامة وليس لهم، وأما المتكلمون؛ فلا يفسرون أصلًا كلمة التوحيد بهذا المعنى، فلذلك إذا ركزت ها هُنا على المناطق التي نعيش فيها نحن اليوم، أيَّ بلد من الدول التي يعيش فيها علماء من هؤلاء الأصناف من المتكلمين أو من الصوفية؛ تجد الشرك فيها على قدم وساق؛ لأنهم لا يعتبرون هذا شركاً أصلًا، ولا يعتبرون توحيد الألوهية أصلاً، ولا

يرفعون به رأساً؛ إنما الهم الأكبر عندهم هو توحيد الربوبية وعلى طريقتهم، وليس توحيد الربوبية على طريقة أهل السنة والجماعة ولا على طريقة أنبياء الله ورسله؛ فهم يشغلون أنفسهم بأمر هو مقرر في فطر الناس، فتوحيد الربوبية مقرر في الأصل في فطر الناس، فالناس يعلمونه ومؤمنون به؛ فلماذا تأتي وتدعو الناس إلى أمر هو مقرر عندهم؟! والنبي ﷺ قد بيَّن أن كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، وأنت إذا نظرت إلى أكثر أهل الأرض؛ تجدهم يُقرّون بربوبية الله سبحانه وتعالى.

نعم يوجد من أشرك في الربوبية؛ فهذا هو الذي نتكلم معه في توحيد الربوبية بداية حتى يؤمن بذلك، ثم بعد ذلك نكلمه في توحيد الألوهية.

أما من كان مؤمناً بتوحيد الربوبية ومُقرراً هذا الأمر عنده؛ لماذا أُخاطبه في شيء هو مؤمن به؟ فلذلك نحن نركز على ما ركَّزَ عليه أنبياء الله؛ فدعوتنا إلى جميع أنواع التوحيد؛ ربوبية وألوهية وأسماء وصفات، لا نقلل من شأن أيِّ نوع من أنواع التوحيد، لكن لا نشغل أنفسنا بنوع هو مُقرَّرٌ ومُحققٌ عند غالبية الناس، ونترك ما قد أخلوا به ووقعوا به في الشرك، وقد أخبر النبي ﷺ أن عبادة الأوثان وعبادة الأصنام سترجع في آخر الزمان، وحذَّر من هذا، والأدلة التي تدل على وجوب الاعتناء بتوحيد الألوهية كثيرة؛ كما مرت معكم في "كتاب التوحيد"؛ فأعظم مُصيبة حصلت في الأمة من قِبَل بعض العلماء الذين ينتسبون إليها أنهم أهملوا هذا التوحيد وزعموا أنهم يُركِّزون على توحيد الربوبية، والمتكلمون غَلوا في هذا الجانب حتى وقعوا في نفي الأسماء والصفات، والصوفية غَلوا في هذا الجانب أيضاً حتى وقعوا في الحلول والاتحاد؛ فكان الذي ذهبوا إليه أمراً عظيماً فاحش الفساد بسبب الغلو؛ الغلو دائمًا مفسدته عظيمة؛ لذلك حذرنا الله تبارك وتعالى منه، وكذلك حذرنا منه النبي ﷺ.

المقصود: أن نعتني نحن بتوحيد الألوهية، وأن تكون هذه الدعوة هي أول دعوتنا كما كان الحال في عهد الأنبياء رضي الله عنهم، نعم من وُجِدَ عنده شك في ربوبية الله؛ فيجب علينا أن ندعوه إلى توحيد الربوبية، لكن غالب الناس عندهم هذا الأمر محقق وموجود.

وبناءً على هذا اختلف أهل العلم فيما هو أول واجب على العباد، وأقول: أهل العلم، ولا أقول: أهل السنة؛ فأهل السنة لم يختلفوا والحمد لله، لكن أهل العلم من أهل السنة ومن أهل البدع والضلال اختلفوا: ما هو أول واجب على العباد؟

أهل السنة جميعاً يقولون: أول واجب على العباد هو توحيد الألوهية؛ هو شهادة أن لا إله إلا الله وأنَّ محمداً رسول الله، التي فيها الإقرار بأن الله هو الذي يستحق أن يُعبد ولا يُعبد معه غيره، كما وتتضمن أيضاً توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات؛ هذا أول واجب على العباد؛ أن يشهدوا الشهادتين؛ لذلك لما أرسل النبي ﷺ مُعاذًا إلى اليمن إلى ماذا دعاهم؟ "فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِم: أَنْ يَشْهدوا أن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنّ محمداً رَسُولُ اللهِ"؛ هذه أول دعوتهم، فلذلك كان أول واجب على العباد هو الشهادتان؛ هذه عقيدة أهل السنة والجماعة، وهذا ما يُقررونه.

النبي ﷺ لما جاء إلى قومه أول شيء قال لهم: "يا قوم قولوا لا إله إلا الله تفلحوا" هذه أول كلماته ﷺ.

وخالف في هذا المتكلمون؛ بعض المتكلمين قال: أول واجب المعرفة، والبعض قال: القصد إلى المعرفة، والبعض قال: النظر، وأقوال لأهل الكلام في هذه المسألة، وكلها تدور حول الربوبية، التي هي أمر مُقرر في فِطر الناس، حتى وصل بالبعض إلى أن يقول: أول واجب هو الشك- يعني: الكفر، والشك ليس إيماناً بل كفر-؛ فقال: أول واجب هو الشك؛ يعني

إن كنت تؤمن بربوبية الله يجب أن تشك- تكفر- بداية، وبعد أن تكفر تقصد إلى النظر أو تنظر وبعد ذلك تعرف...الخ.

ما مقصودهم بالمعرفة؟

مقصودهم معرفة الله تبارك وتعالى؛ معرفة أن الله سبحانه وتعالى موجود وأنه خالق تبارك وتعالى.

كيف يتوصلون إلى هذا؟

يقولون يجب أن تنظر في خلق السماوات والأرض، وتنظر في الكون؛ وهذا معنى قولهم بالنظر، أول واجب هو النظر؛ أي: أن تنظر في هذا الكون وتتأمل فيه وتتفكر حتى تصل إلى معرفة الله سبحانه وتعالى من خلال النظر في هذا العالم، فنظرك في هذا العالم؛ يوصلك إلى معرفة الله سبحانه وتعالى.

البعض قال: القصد إلى النظر؛ يعني: النية؛ أنت تقصد وتتجه إلى أنك تريد أن تنظر وهذه قبل؛ فهذه وسيلة.

والبعض قال: الشك- كما ذكرنا-، وذكر هذا أحد كبار المعتزلة.

انظر إلى البدع أين توصل العباد، البدع بريد الكفر؛ هذا الشخص أوجب على الناس أن يكفروا أولًا؛ لأنه أشكل عليه: أن يكون الإنسان عارفًا بالله ويعلم أن الله سبحانه وتعالى هو الخالق وهو المدبر، ثم نأمره بالمعرفة أولًا؟! إذن يجب أن يشك بداية. سبحان الله عجيب هذا!

المعرفة التي جعلوها أول واجب- معرفة الله سبحانه وتعالى وأنه خالق السماوات والأرض- أمر مقرر في الفِطر؛ فكيف يكون هو أول واجب؟! هو أمر محقق، هذا واجب محقق، فكيف تطلب منه أن يُحققه من جديد وهو متحقق وموجود!! هذا خطأ.

نعم من شك في وجود الله يجب عليه النظر والتفكر والتأمل في خلق السماوات والأرض حتى يؤدي به ذلك إلى اليقين والإيمان بأن الله سبحانه وتعالى موجود، وأنه خالق السماوات والأرض- هذا من شك- يمكن أن يأتيك شخص فيقول: ألم يأمرنا الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم بالنظر؛ لقوله تعالى: {أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ...} الآيات.

نعم صحيح، هذا النظر تحتاجه عندما يحصل منك شك، تحتاجه عندما تريد أن تزيد إيمانك؛ فتنظر وتتفكر من أجل أن تزيد إيماناً، وأن تعرف الله سبحانه وتعالى وأن تتعلم وتعرف صفات الله وعظمة الله، نعم تنظر وتتفكر، أو حصل عندك شك؛ فتنظر وتتفكر من أجل أن تصل إلى اليقين بالله سبحانه وتعالى، هنا تحتاجه، أما بداية وأنت مُستيقن من هذه العقيدة؛ لا تحتاج إلى هذا، أول ما يجب عليك من ذلك أن تشهد الشهادتين؛ لأن إفراد الله سبحانه وتعالى بالعبادة هذا ما حصل فيه الخلل عند الناس، الإيمان بمحمد ﷺ حصل فيه خلل عند الناس، فلأجل أن تدخل الإسلام تحتاج أن تتشهد الشهادتين؛ هذا هو أول واجب.

إذن هذه المسألة فارقة ما بين أهل السنة والجماعة وما بين المتكلمين، فالمتكلمون أحدثوا أمراً جديداً، لم يأمر الله سبحانه وتعالى به بداية، ولا أمر به النبي ﷺ بداية؛ بل كانت سنة الأنبياء جميعاً: أن يأمروا بالتوحيد أول شيء- بالشهادتين-؛ سنة النبي ﷺ والصحابة من بعده جميعاً؛ كانوا أول ما يأمرون به الشخصَ حين يسلم أن: ينطق الشهادتين.

هذا بالنسبة لأول دعوة الأنبياء؛ وهذه أول واجب على الناس.

الخلاصة: أن أول دعوة الأنبياء الناسَ: هي إلى أن يوحدوا الله تعالى وأن يعبدوا الله وحده ولا يعبدوا معه غيره؛ هذه أول دعوة الأنبياء.

وخالفنا في ذلك: المتكلمون والصوفية؛ أعني: في معنى الشهادتين التي دعا إليها الأنبياء، وأول واجب على الناس؛ فدعوة الأنبياء كانت في توحيد الألوهية، وأما المتكلمون والصوفية فيصبون دعوتهم على توحيد الربوبية وعلى طريقتهم أيضاً؛ فخالفوا الأنبياء في طريقة دعوتهم.

الأمر الثاني: أول واجب على الناس: أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأَنَّ محمداً رسول الله، خالف في ذلك المتكلمون؛ قالوا: المعرفة، وقالوا: النظر، وقالوا: القصد إلى النظر، وقالوا: الشك؛ كل هذه أقوال لهم.

نكتفي بهذا القدر بالنسبة لهذه الجملة.

قال المؤلف: **(ولا شَيْءَ مِثْلَهُ)**

لقول الله تعالى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الشورى:١١]، ولا شيء مثل الله سبحانه وتعالى؛ يعني: أن الله سبحانه وتعالى لا مثل له.

ومعنى لا مثل له: أن تقول: فلان مثل الله، والله مثل فلان؛ لا يصحُّ هذا الكلام ولا يوجد له مشابه؛ وهذا أمر متفق عليه لقول الله تبارك وتعالى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}، والله سبحانه وتعالى لا مثل له لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله.

وهذه الجملة متفق عليها بين أهل السنة والجماعة، وخالف فيها المُشبهة كداود الجواربي؛ أحد رؤوس المشبهة ومن كان على طريقته؛ الذين يُثبتون المثل لله فيقولون: يد كيد الله، وسمع كسمع الله، وما شابه؛ وهذا ضلال. نسأل الله العافية.

وخالف في هذا أيضاً: المُعطِّلة، وإذا قلنا المُعطِّلة؛ فنعني بهم: الجهمية بصفة عامة؛ فالجهمية تُطلق أحياناً بالمعنى العام الذي يشمل الجهمية والمعتزلة والأشاعرة والماتوريدية والكُلابية وكل هؤلاء الذين يقال لهم: المتكلمون، ويقال: الجهمية- بالمعنى العام-، العقلانيون؛ هذه كلها أسماء لفرقة واحدة، هي متشعبة من الداخل: جهمية، معتزلة، أشاعرة.... إلخ؛ لكن كلهم يجتمعون في أصل واحد، لذلك يَعتبرهم السلف جماعة واحدة من هذا الباب، فيقولون الجهمية؛ ويعنون كل من عطَّل الصفات، كل من قرر تقديم العقل على النص في مسائل العقيدة يعتبرونه منهم؛ من المتكلمين، من الجهمية بالمعنى العام، من العقلانيين.

هؤلاء المتكلمون خالفوا أهل السنة في هذه الجملة أيضاً؛ كيف؟

تقول لي: هم يدندنون دائماً حول نفي التمثيل، ويُشَنعون على من شبه الله بخلقه.

نقول: نعم، لكنهم غَلوا في هذا الباب؛ المشكلة في المخالفة ليست فقط أن تقول بقول هو ضد قولي؛ لا؛ فربما تخالف أيضاً بأن تغلو في المسألة بحيث تَخْرُج عن المعنى المراد منها في شرع الله سبحانه وتعالى والذي كان عليه السلف الصالح رضي الله عنهم؛ كيف ذلك؟

مثل هذه؛ لا مثل لله سبحانه وتعالى؛ نعم، والاعتدال في ذلك أن تقول: لا مثل لله وأن تثبت لله الأسماء والصفات التي أثبتها لنفسه في الكتاب والسنة؛ عملًا بشطري الآية {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}؛ نفي وإثبات؛ نفي للتمثيل وإثبات للصفات؛ هذه طريقة أهل السنة والجماعة: اعتدال؛ فيأخذون بالآية كاملة من أولها إلى آخرها.

المُعطِّلة- وهو اسم أيضاً للمتكلمين؛ جهمية، متكلمون، عقلانيون، مُعطَّله كلها نفس الفرقة-؛ المُعَطِّلة يُعطِّلون صفات الله سبحانه وتعالى، يُعَطِّلون أسماء الله تبارك وتعالى؛ هم على درجات، يختلفون في ذلك، البعض منهم ينفي الأسماء والصفات بحجة أن إثباتها يلزم منه تمثيل؛ فلذلك ينفونها، ومنهم من يُثبت الأسماء ويُعطِّل الصفات وينفيها، ومنهم من يُثبت الأسماء ويُثبت بعض الصفات ويُعطِّل بقية الصفات؛ هم درجات؛ لكنهم يجتمعون جميعاً في تعطيل بعض ما أثبت الله تبارك وتعالى لنفسه؛ بحجة أن العقل لا يثبت تلك الصفات، وأن النص الشرعي قد خالف العقل، والعقل يقيني والنص الشرعي ظني؛ فيُقَدَّمُ العقل اليقيني على النص الشرعي الظني، فكل ما خالف من الشرعِ العقلَ؛ يُحرَّف؛ يسمونه تأويلًا، يقولون نؤوله- أي: نحرِّفه- حتى يتناسب مع العقل؛ لأن العقل هو الأصل.

هذا الأصل الذي تجتمع عليه جماعة العقلانيين جميعاً، وهذا الذي يمشون عليه من أجل نفي الصفات؛ هذا سبب من أسباب نفيهم للصفات، ويوجد أسباب أخرى ستأتي؛ فيزعمون أن إثبات الصفات يلزم منه التمثيل؛ فعطلوا صفات الله سبحانه وتعالى؛ زعمًا منهم أن إثباتها مخالف لقول الله: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ}؛ وليس مخالفًا.

طبعاً سلك هؤلاء طُرقاً، سيأتي إن شاء الله ذكر بعضها في موطنها في نفي الصفات وسبب نفيهم للصفات.

ذكر الترمذي رحمه الله عن السلف الصالح رضي الله عنهم؛ أنهم قالوا: التشبيه أن تقول: يد كيد، يد كيد؛ هكذا يكون التشبيه، إذا قلت: يدي كيد الله، أو يد الله كيدي؛ هنا شبهت ومثلت ووقعت في الحرام، كما فعل المُشبهة، أما إذا أثبتَّ لله سبحانه وتعالى سمعاً وبصراً

ويداً وضحكاً ونزولاً يليق بجلاله وعظمته، لا كصفات المخلوقين؛ تكون نزَّهت وأثبت كما أراد الله سبحانه وتعالى.

وهذا كالوجود؛ هل يلزم من إثبات الوجود لله تبارك وتعالى وإثبات وجود المخلوقين؛ هل يلزم من ذلك التشبيه في الوجود؟

إن قالوا: لا يلزم؛ قلنا: قولوا في البقية كما قلتم في هذا، كما أن الله سبحانه وتعالى له وجود والمخلوق له وجود، وهذا لا يُماثل هذا؛ كذلك قولوا في بقية الأسماء والصفات؛ كلها نفس الطريقة، وإذا نفيتم وجود الله سبحانه وتعالى؛ كفرتم، وإذا نفيتم وجود المخلوق؛ ذهبت عقولكم، فماذا يبقى إذن؟! ما لهم حجة بعد ذلك أبداً.

إذن خالفنا في هذا: المشبهة والمُعطِّلة، وأسعد الناس بالأخذ بالآية تامة وكما أراد الله سبحانه وتعالى؛ هو من سلك طريقة السلف رضي الله عنهم؛ ينفون عن الله سبحانه وتعالى مماثلة المخلوقين، ويثبتون له سبحانه ما أثبت لنفسه في الكتاب وفي السنة من الأسماء والصفات، ولو لم يُرد الله سبحانه وتعالى إثبات الأسماء والصفات واعتبرها من التمثيل؛ لبيَّن لنا ذلك ولو في آية واحدة أو في سُنَّةٍ واحدة.

تأتي هذه المسألة العظيمة وتُقرَّر عند المتكلمين بهذه الطريقة، وهي من مسائل الأصول العظيمة عندهم؛ ولا يأتي في شرع الله ولا نص واحد صريح يُبيِّن لنا هذا! هذا مستحيل؛ بل النصوص الصريحة الكثيرة تبيِّن لنا أنهم على ضلال، وأن ما سلكوه خطأ، لكن حقيقة دين هؤلاء أنهم لا يؤمنون بالكتاب والسنة كما أمر الله سبحانه وتعالى؛ وإنما يؤمنون بعقولهم وما ركب على عقولهم فقط، ويا ليتهم فهموا الأمور بعقلانية وشكل صحيح، أبداً؛ شَطَحَتْ بهم عقولهم يَمنة ويسرة، وهم- أنفسهم أصحاب العقول الذين يزعمون أن العقل يقيني-؛ هم

أنفسهم يختلفون ويضطربون؛ فالأشعري يختلف مع المعتزلي، والمعتزلي يختلف مع الجهمي، والجهمي يختلف مع الكُلَّابي؛ إذن أين اليقين في هذا الذي تزعمونه؟!!

لذلك ولكثرة تشتتهم واختلافهم واضطرابهم في هذا الباب؛ وقف بعضهم حائراً في آخر حياته، وقال:

نِهَايَةُ إِقْدامِ العُقُولِ عِقَالُ وَأَكْثَرُ سَعْيِ العَالَمِينَ ضَلالُ

العالَمين؛ يعني: عالمي زمانهم، أو أقرانهم وأمثالهم ممن خاضوا في الكلام وعلم الكلام ممن سبقهم وممن عاصرهم ومن بعدهم، عالَمهم هم، عالَم المتكلمين؛ هم الذين في ضلال وحيرة.

(ولا شيء مثله): ليس كمثله شيء.

ويُشَنِّعون على أهل السنة بهذا؛ يقولون: أنتم مُشبهة! لماذا؟ لأنكم تُثبتون الأسماء والصفات.

فيُقال لهم: ماذا تريدون بالتشبيه؟ فكلمة التشبيه صارت مشكلة، وهذه قاعدةٌ الْزَمْها دائمًا: حين تسمع المبتدع يتكلم باصطلاح؛ لا تُسلِّم له مباشرة؛ لأنك أنت على نيتك؛ ربما تسمعه يتكلم بالكلمة؛ فتظنه يريد المعنى الذي فهمته أنت من الكتاب والسنة؛ وإنما يريد المعنى الذي وضعه هو لهذه الكلمة، فعندما يقول المتكلِّم: تشبيه؛ فليس هو نفس المعنى الذي أنت تريد؛ وهو نفي التمثيل؛ لا، نفي التشبيه ليس هو المعنى الذي تريده وهو نفي التشبيه؛ لا، هو يريد شيئاً آخر من التشبيه!

عندما يقول: التشبيه، والمشبه مجسم؛ فيعني بالتشبيه: إثبات الأسماء والصفات، يريد بالتشبيه: إثبات الأسماء والصفات؛ يسميه تشبيهاً، فلذلك تكون حذراً؛ فتقول له: ماذا تريد بالتشبيه؟ إن أردت بالتشبيه نفي الأسماء والصفات؛ فنحن نثبت الأسماء والصفات كما أثبتها

الله لنفسه من غير تكييف ولا تمثيل ولا تحريف ولا تعطيل، وإن أردت بالتشبيه التمثيل الذي نفاه الله في كتابه؛ فنحن نقول نعم هذا ننفيه ولا نثبته؛ فلا تشبيه بمعنى لا تمثيل؛ نعم؛ لا إشكال، أما إثبات الصفات؛ فلا.

ولا يلزم من إثبات الصفات التشبيه أو التمثيل- لا يلزم- وإن كان هناك اشتراك في أصل المعنى للصفة لكن لا يعني هذا التشبيه، يعني مثلًا تقول: الوجود؛ الوجود معلوم معناه؛ وهو ضد العدم، وكل موجود يشترك في أصل هذا المعنى- أنه ليس معدوماً-؛ لكن بعد ذلك هل وجود الله كوجود المخلوقين؟ فرق كبير؛ وجود الله تبارك وتعالى لم يُسبق بعدم ولا يلحقه فناء، بينما وجود المخلوق مسبوق بعدم، وممكن أن يفنى؛ كذلك قلْ في بقية الأسماء والصفات؛ الرِّضى معلوم معناه؛ ولكن رِضى الله ليس كرِضى المخلوق؛ إذن أصل المعنى للصفة وإن كان مشتركًا إلا أنه لا يلزم منه تشبيهاً ولا تمثيلاً، أبداً، نفس القول في الوجود؛ كذلك القول في بقية الصفات.

وأهل السنة والجماعة وسط في هذا ما بين المُعَطِّلة والمُشبهة؛ فهم يأخذون بالآية كاملة {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}، المُعَطِّلة يأخذون بجزئها الأول: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} ويُعَطِّلون جزأها الثاني، والمُشبهة يأخذون بالجزء الثاني: {وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} ويُعَطِّلون الجزء الأول، وأهل السنة وسط بين هاتين الفِرقتين.

ثم قال المؤلف رحمه الله: **(ولا شَيْءَ يُعْجِزُهُ)**

يعني: لا شيء يُعجز الله سبحانه وتعالى- والعجز هو الضعف؛ أي: عدم القدرة على الفعل- فلا شيء يُعجز الله؛ لكمال علمه وكمال قدرته تبارك وتعالى، قال الله تبارك وتعالى: {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا} [فاطر:٤٤].

لاحظ هنا: {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ} فالله سبحانه وتعالى قادر على كل شيء، ثم قال في آخر الآية: {إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا} أي: لكمال علمه وكمال قدرته تبارك وتعالى لا يُعجزه شيء؛ فلا يَضعُف عن شيء، ولا يُوجد شيء لا يقدر عليه تبارك وتعالى.

وقوله: **(ولا شيء يعجزه)** دليله قول الله سبحانه وتعالى: {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا}.

إذن عندنا دليل على ما قال المؤلف؟ نعم.

هل هو محل اتفاق بين أهل السنة؟ الحمد لله؛ هو أمر متفق عليه لا خلاف فيه.

مسألة: النفي المحض لا يُفيد كمالًا، هذه القاعدة قد مرت معكم في "القواعد المُثلى"، النفي المحض لا يُفيد كمالًا، النفي لا يُفيد كمالًا إلا بإثبات كمال الضد.

يعني: العجز ضده القدرة، فإذا قلت: لا شيء يعجزه لكمال علمه وقدرته تبارك وتعالى؛ فتكون هنا قد وصفته بالكمال، أما أن تقول: لا يُعجزه شيء وتسكت؛ لا يلزم من هذا الوصف بالكمال؛ لأن النفي ربما يكون لغير هذا المعنى كما قال الشاعر:

قُبَيِّلَةٌ لا يَغْدُرونَ بِذِمَّةٍ ولا يَظْلِمون النَّاسَ حَبَّةَ خَرْدَلِ

هذا نفي (لا يَغدرون بذمة ولا يظلمون الناس حبة خردل)، فإنه لما وصفهم قبل هذا وصغّرهم بقوله (قُبَيِّلَة)؛ عُلِمَ أن المراد: أن المانع لهم من الغدر ومن ظلم الناس ليس كمال عدلهم وكمال أمانتهم، لا، وإنما المراد: عجزهم وضعفهم عن ذلك.

إذن النفي الصِّرف لا مدح فيه حتى تُثبت كمال الضد، فنحن هنا لما نقول (ولا شيء يُعجزه)، لماذا؟ لكمال قدرته تبارك وتعالى وكمال علمه؛ لذلك قال أهل العلم: لما استقرؤوا

الأدلة من الكتاب والسنة قالوا: في كتاب الله يأتي الإثبات للصفات مفصلاً- الإثبات وليس النفي- ويأتي النفي مُجملاً.

يعني: تأتيك آيات في النفي؛ تنفي عن الله سبحانه وتعالى كل نقص بشكل مجمل، لكن لا تأتي بالتفصيل؛ ليس بكذا وليس بكذا وليس بكذا...، ليست هذه طريقة القرآن، أما الإثبات فيأتي: سميع، بصير، عليم، حكيم، قدير... إلخ؛ لأنها مثبتة، وتجد بعض الصفات فيها تفصيل في النفي؛ لكنه ليس هو الغالب الأكثر، ويوجد بعض الآيات أيضاً فيها إجمال في الإثبات، ولكن ليس هي الأكثر.

هذه الطريقة- طريقة القرآن- خالفها أهل الكلام؛ المتكلمون، فصاروا يكثرون من التفصيل في النفي؛ فيقولون: ليس بجسم ولا جوهر ولا عَرَض ولا بذي لون ولا رائحة ولا طعم ولا كذا، ولا كذا... إلخ، والواجب هو السير على طريقة القرآن.

إذن نفعل كما جاء في كتاب الله؛ إثبات مفصل غالبا ونفي مجمل غالباً، ونثبت ما أثبته الله لنفسه وننفي عنه ما نفى عن نفسه؛ قاعدتنا هنا واحدة: نثبت ما أثبت الله لنفسه في كتابه أو في سنة رسوله ﷺ، وننفي عنه ما نفى عن نفسه في كتابه أو في سنة رسوله ﷺ، ونسكت عن الباقي، هذه طريقة السلف وهي أسلم طريقة في الكلام في ذات الله وفي أسمائه وصفاته، والأمر في هذا ليس سهلًا.

قال أهل العلم في موضوع النفي أيضًا: النفي المجرد مع كونه لا مدح فيه؛ ربما تكون فيه إساءة أدب.

نفي مُجَرَّد فقط مع عدم إثبات الضد، مع أنه لا مدح فيه، أيضاً ربما تكون فيه إساءة أدب، فلو أنك قلت لسلطان مثلًا: أنت لست زبالًا ولا كلباً ولا حيوانًا ولا ما شابه، هل يقبل

منك هذا؟ هل يعتبر هذا أدباً وثناء منك عليه؟ لا، ولو فعلت هذا؛ لأدَّبك على ما قلت؛ لأنه يريد المدح بالإثبات.

على كل حال أهل السنة والجماعة يتبعون الكتاب والسنة في التعبير عن الحق بالألفاظ الشرعية، ويتكلمون بما ورد في الشرع من الكتاب والسنة، وأهل البدع يتوسعون؛ لأنهم فتحوا المجال لأنفسهم بالابتداع في دين الله، وفي الكلام في الله سبحانه وتعالى بدون علم بعقولهم فقط؛ فتجاوزوا ووقعوا في الحرام.

هذا ما يتعلق بهذه الفِقرة. والله أعلم والحمد لله.